

الوافي في الوفيات

لا زالت ألفاظه حلية الممالك ووده في النفوس ثابتاً وللقولب خير مالك ومنزله من فضل
رحيب الساحات معوراً بالسماحات في رحية مالك وينهى ورود مشرف سمح ببيانہ ونفج
بعرفانه وجنح إلى عوائد إحسانه ولمح أشرف المعاني بإنسانه وربح إذ بدا بفصل خطابه وفضل
بنانه أبقى إلا أن يكون له الفضل في ابتدائه والفوز بسبق تحيته وانشائه فقبله المملوك
تقبيلاً وفضه فإذا البيان جاء كله معه قبلاً ورأى أدباً غزاً ونظماً ونثراً فاقاً من سلف
عصره وتقضي ولقد ذكر مولانا بأوقات قربه على أن المملوك ما زال يذكرها وأقر عينا ما
برح تشهد محاسنه وتنظرها .
أبلغ أخاناً أدام الرحمة ... أني وكنت لا ألقاه ألقاه .
أعلم أني لست أذكره ... وكيف يذكره من ليس ينساه .
ولقد تحملت بمولانا جهة تصدر أخبارها بأفلامه وتصدر مهماتها بمتين كلامه ويبدو صلاحها
بالفاظه التي هي كالزلال في رفته والدر في نظامه فبسط الظلال من أمتع هذه المملكة
بمولانا وسير ركابه إليها وطالما أولاه الخير وأولانا قد شمل البعيد والقريب بفضله وعمر
مصر بسودده وغمر الشام بوبله .
كالبحر يقذف للقريب جواهرها ... كرماً ويبعث للبعيد سحابها .
ثم يعود المملوك إلى وصف محاسن مولانا التي مكنت في القلب حبه وأرضت بالود مملوكه
وتربه وشيدت له في الأفئدة أرفع رتبة .
اتتنا من وداك خير هبه ... فنعم طيبها عيش الأحبه .
وزارتنا على نأي فأهدت ... لنا أنسا به أنسى تنبه .
تذكرني بزورتها ائتلافا ... ووقتا طالما معتت قربه .
نأى عن مصر من مولاي أنس ... فألفى بعدها رجلاً ورحبه .
للفطك في الطروس عقود معنى ... بها در الترائب قد تشبه .
وخطك لم يزل دراً ثميناً ... له بالجواهر الشفاف نسيه .
بنانك منبر ترقى عليه ... يراع كم لها في الطرس خطبه .
خطبت من المعاني كل بكر ... فلبت بالإجابة خير خطبه .
كأنك قد رقيت الأفق عفواً ... فأعطى طرسك الميمون شهبه .
قدمت معظماً في كل أرض ... تنال من السعود أجل رتبه .
وكتب إلي ونحن بالمخيم السلطاني على طنان ملغزاً في كتاب .

يا مبدعاً في النظم والنثر ... وفاضلاً في علمه يثري .
ومودعاً منهرقه كل ما ... يزري بحسن الدر والتبر .
إن أحكمت ألفاظه أصبحت ... قواطعاً تربى على الابتز .
ما صامت ينطق أفضاله ... وكاتم للسر في الصدر .
تصلحه الراحة لكنه ... تتعب في الطي وفي النشر .
قد أشبه البيض ولكنه ... يحتاج يا ذا الفضل للسمر .
تفرق الليل بأرجائه ... كأنه وصل على هجر .
يسير عن أوطانه دائماً ... للنفع في البر وفي البحر .
إن كان يوماً ضيف قوم غدا ... يقري وخير الناس من يقري .
فهاث لي عنه جواباً كما ... عودتني يا عالي القدر .
فكتبت إليه الجواب عن ذلك .
أروضة تبسم عن زهر ... أم أكوس دارت من الخمر .
أم نظم مولانا فإنني الذي ... أعده من جملة السحر .
إذ كل حرف منك شمس وأن ... سامحت قلت الكوكب الدري .
يا فاضلاً ما مشتهي نظمته ... في الناس إلا قطع الزهر .
وكاتباً أصبح من خطه ... يغني عن الخطية السمر .
حللت ما ألغزته في الذي ... تجلوه لي في حبر الحبر .
ما فاه بالنطق ولكنه ... له فنون النظم والنثر .
يخبرنا عما مضى وانقضى ... وما جرى في سالف الدهر .
لا يكذب القول إذا ما روى ... فقد حكى صدق أبي ذر .
وعنده للحسن ديباجة ... شبيهة بالليل والفجر .
ذرت على كافوره مسكة ... ليس لها نشر مع النشر .
كم أقسم الباري به مرة ... مرت لنا في محكم الذكر